اللوبي اليهودي الاميركي والولاء المزدوج

Tivnan, Edward; *The Lobby; Jewish Political Power and American Foreign Policy,* New York: Simon and Shuster, 1987, 304 Pages.

ازاء ادبيات تتحدث عن سطوة «اللوبي اليهودي» في الولايات المتحدة، ينتاب المرء، احياناً، شعوران متناقضان؛ فهو، من ناحية، يرى، او بالاحرى يتصور، ان ترويج مثل هذه الادبيات جزء اساس، او على الاقل هام، للتأثير في عملية صنع القرار وتنفيذه في السياسة الخارجية الاميركية؛ وهو، من ناحية اخرى، يعرف ان امكانات معرفته المتقدمة لتركيبة ونشاط واهداف ووزن هذا «اللوبي»، امكانات محدودة، خصوصاً ان لم يستند الباحث، بدوره، الى معلومات عنه، من خلال ما ينشره احد «محاسيبه».

في حالتنا، يصعب التعليق، بل تصعب الكتابة عن دور «اللوبي اليهودي» دون ان يتنازع الباحث تيّاران: امّا السكوت ومحاولة التناسي بالنظر الى الطابع اللااكاديمي اجمالاً لمثل هذا النشاط، او، على العكس من ذلك، التراخي الى منطق مؤامراتي، يرى «اصابع» اللوبي في كل مكان، ووراء كل ما يحدث، يسيّر، من وراء الكواليس، مجاري السياسة الخارجية للولايات المتحدة في ما خص منطقة الشرق الاوسط.

ليس من السهل تناول الموضوع، ولكن، ليس من السهل، ايضاً، التغاضي عنه. الكتاب الذي نشرته، مؤخراً، دار سايمون وشوستر في نيويورك، عنى مؤلفه ادوارد تيفنان ان يخبر قراءه، في كلمة التقديم، بأن كثيرين، «من بينهم عدد لا يستهان به من سفراء الولايات المتحدة السابقين في الشرق الاوسط ممّن يتعاطون مع العرب»، تنبأوا له بأنه «لن يجد ناشراً نيويوركياً يقبل ان ينشر له كتابه»، وانه ـ حتى ان وجد الناشر ـ «لن يجد المكتبات التي ترضى بعرض كتابه وبيعه»، بل وحذّره البعض من ان «المنظمات اليهودية سوف تبتاع نسخ الكتاب من السوق، لئلاّ يصل الى يد احد». بل اكثر من ذلك، ان الجميع أكّدوا له ان احداً ممّن عقد العزم على مقابلتهم للحصول على مادة كتابه لن يرضى التحدث اليه، لأن الموضوع «حساس وساخن وخطر سياسياً، بالنسبة الى الجميع، ولأن قادة اليهود، واعضاء اللوبي، واصدقاءهم وخصومهم، كل حسب موقعه، يفضلّون ابقاء ما يتعلق به طيّ الكتمان». بيد ان التجربة التي عاشها الكاتب، وهو يشرع في اعداد مادة الكتاب، فاقت كل التوقّعات المتشائمة. فقد وجد تيفنان ان كل من طلب مقابلته والتحدث اليه من القادة اليهود والساسة الاسرائيليين، بلا استثناء، رحّب بذلك، «وكان راغباً، اجمالاً، في الكلام، بل ومتلهّفاً اليه، احياناً» (ص ١٠ ـ ١٢).

تنظم فصول الكتاب العشرة فكرة واحدة، يجهد تيفنان في الالحاح عليها، وهي ان اليهود الاميركيين ظلوا اميركيين اولاً، ويهوداً بعد ذلك، وان ولاءهم ظل لاميركا وليس لأي بلد اخر. وهو بمثابة رد ضمني على منتقدي السطوة السياسية اليهودية، كعضو الكونغرس السابق بول فيندلي، وربّما، ايضاً، لاحتواء الضرر الناجم عن قضية الجاسوس اليهودي الاميركي جوناثان بولارد، والرد على ذيول «الولاء المزدوج» التي رافقت تلك القضية.

في هذا السياق، يلخّص المؤلف «افكاره» في التالي: نعم ان هناك اصدقاء أقوياء لاسرائيل في الولايات المتحدة، وهناك، كذلك، لوبي مؤثر ونافذ، ولكن هناك انتقادات، ايضاً، وهي انتقادات لا يجد اصحابها الجرأة للمجاهرة بها، وهي، على كل حال، انتقادات تنفي مقولة الانقياد الاعمى وراء اسرائيل والانحياز التامّ